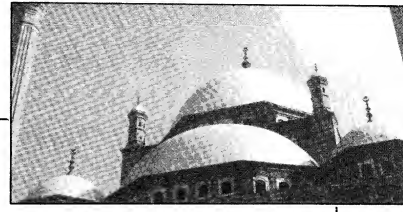


وثائق القلعة

محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاته بالخليج العربي

١٨٠٧ - ١٨٤٢

في عام ١٩٧٢ ، ولمدة ثلاث سنوات ، استطاع مركز الوثائق والدراسات في أبوظبي الحصول على نسخة كاملة لمجموعة وثائق حملة محمد علي ونشاطه في الجزيرة العربية بين عام ١٨١١ وعام ١٨٤٠ من دار الوثائق القومية بالقاهرة . وتعرف هذه المجموعة من الوثائق باسم وثائق القلعة لأنها كانت محفوظة في قلعة محمد علي بالقاهرة . ومنذ عام ١٩٧٧ قام قسم الوثائق العثمانية بفهرسة وتلخيص هذه الوثائق على كارتات .

ومن حسن الحظ أن أغلب هذه الوثائق العثمانية مترجم الى اللغة العربية . كما أنها تحوى الكثير من الرسائل العربية بين محمد على وحكام امارات الخليج وسلطنة عمان . وقد استفاد من هذه الوثائق بالمركز العديد من طلاب الماجستير والدكتوراة وخاصة طلاب وطالبات وأساتذة المملكة العربية السعودية . كما قدم المركز لكثير من مؤسسات ومراكز



بقلم : الدكتور
محمد مرسي
عبدالله
«ابوظبي»

الخليج العربي الكثير من نسخ هذه الوثائق .

ان هذه الدراسة التي أقدمها عن محتويات هذه الوثائق والموضوعات العامة التي شملتها تعتمد على مقدمة كتالوج هذه الوثائق الذي أعده قسم الوثائق العثمانية في المركز . ومع أن نشاط محمد على العسكري قد بدأ في الحجاز بحملة ابنه طوسون عام ١٨١١ ، الا أن أقدم وثيقة في هذه المجموعة تبدأ عام ١٨٠٧ .

في منتصف القرن الثامن عشر

الميلادي (منتصف القرن الثاني عشر الهجري) قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحركة اصلاحية غيرت معالم الحياة السياسية والدينية في الجزيرة العربية . وقد أطلق خصومه اسمه عليها فلقبت عند أعدائها باسم الحركة الوهابية . ونحن نعلم أن عقيدة الحركة الاصلاحية تنتسب الى طريق أهل السلف ، الذين عرفوا بأهل السنة والجماعة . وهم يتبعون في الأحكام مذهب الامام أحمد بن حنبل . وقد ركز الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركته الاصلاحية على التوحيد .

وتبدأ وثائق القلعة كما ذكرنا عام ١٨٠٧ بعد دخول السلفيين الى مكة والمدينة . وهرب الشريف غالب من الحجاز ، واثارته رجال الدولة العثمانية ضد السعوديين . كما أن منع المحمل السنوي والكسوة التي كان يرسلها محمد على كتقليد قديم الى أرض الحجاز في موسم الحج قد أثار علماء الحجاز وعلماء مصر . وأصبح هناك جو عدائي ضد رجال الحركة السلفية . وهذا ما سنلمسه في أثناء قراءتنا لهذه الوثائق .

وقد أطلق رجال الدولة العثمانية وحكومة محمد علي في مصر على تعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الوهابية غمزا لها كبدعة جديدة خارجة عن تعاليم الدين الاسلامي . ولكن علماء معاصرين له في العراق والشام واليمن رأوا في هذا الوقت المبكر في تعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب إحياء للكتاب والسنة . ويستنكر رجال الحركة السلفية هذه التسمية . ويسمون أنفسهم المسلمين وأهل الاسلام وأهل الدين الحق . وأطلقوا على من اعتنق مبادئهم «الداخلون في الاسلام» ولقد وصف حسين بن غنام قتال جماعته لاعدائهم بالغزوات وسمى كتابة «روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» .

ولقد واجه السلفيون غربى الدرعية عاصمتهم امارة الاشراف في الحجاز . وكان الحجاز تابعا اسميا للدولة العثمانية ، بينما قام بادارته الحقيقية الاشراف الذين كانوا يعتبرون أنفسهم سادة المناطق الداخلية بالجزيرة . وقد عاصر اشتباك الدولة السعودية الأولى مع الاشراف الشريف غالب بن مساعد الذى امتد حكمه من عام ١٧٨٨ وحتى عام ١٨١٣ . وكان للأمير غالب بن مساعد بسبب مكانته الدينية دور خطير في مقاومة السعوديين ، اذ كان دائم الاتصال بالباب العالي ومحمد على في مصر يثيرهما ضد الحركة السلفية .

مجموعة وثائق بدايات الحملة :

تبدأ هذه الوثائق برسالة من

«(محمد علي) الى أعتاب ولي النعم ، مؤرخة سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) حول عدم تمكنه من ارسال الصرة (عائدات الأوقـاف) ، والكسوة والـوظـائف (المرتبات) المعـدة من طرفـه الى الحرمين الشريفين ، بعد اصدار علماء مصر وأشرافها فتوى بذلك ، لوقوعها في أيدي رؤساء مكـة في السنة الماضية ، واحراق الخارجي (هكذا كان يسمى محمد علي رجال الحركة الاصلاحية السلفيـة في الجزيـرة وقتذاك) محمل السعـادة ، ونفي مستخدمي الدولة العلية ، وقضاة الاسلام ، وشيخ الحرم النبوي وسائر المقيمين في تلك الجهات الى مصر» .

فعندما وصل محمد علي الى منصب ولايـة مصر ، كان نفـوذ الدولـة السعودية الأولى قد امتد ليشمل الحجاز ، وأصبح الحرمان الشريفان في حـوزة آل سعود ، ممـا أزعج السلطان العثماني ، خاصة بعد فشل واليي كل من بغداد ودمشق في القضاء على الحركة السلفية ، فأرسل الباب العالي سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) أمرا الى محمد علي ، والي مصر ، بارسال حملة الى الحجاز لاسترداد الحرمين الشريفين من أيدي رجال الحركة الاصلاحية السلفية الذين سمـاهم وقتذاك ظلمـا (الخوارج الوهابيين) .

وفي مجموعة هذه الوثائق نرى كيف اتبع الباشا أسلوب التريث والمماطلة قبل بدئه تنفيذ الأمر رغم وعوده المتكررة لأسباب عديدة منها : سوء الأحوال الاقتصادية في مصر ، وتهديد الأمراء المماليك لولايته ، وألح في طلب عزل سليمان باشا عن ايالة الشام واسناد حكمها اليه ، فأكد الباب العالي له أن الاستجابة لمطالبه رهينة بتنفيذ هذه المهمة .

أخبار أحمد طوسون باشا :

في مجموعة هذه الوثائق نجد أخبار تعيين محمد علي نجله أحمد طوسون باشا قائدا عاما لحملة الحجاز ، وأرسل أول حملة بحرية الى الحجاز في ١٩ رجب ١٢٢٦ (١٩ أغسطس/آب ١٨١١م) ، تبعتها حملة برية بقيادة طوسون في غرة شهر رمضان سنة ١٢٢٦ (١٩ سبتمبر/أيلول ١٨١١) ، وفشلت قواته في احتلال المدينـة المنورة ، وانهزمت أمام قوات عبدالله بن سعود عند مضيق الجـديدة والصفره . وبعد ارسال الامدادات من مصر اليه ، واخضاع قبيلة حرب . تقدمت قوات طوسون نحو المدينة المنورة ، واقتحمت قلعتها في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٧ (نوفمبر / تشرين الثاني ١٨١٢) ، وتوجهت قـواته البرية والبحرية الى جدة ودخلت مكة

المكرمة في ٢٠ محرم ١٢٢٨ ١٢٢٨ (٢٣ يناير / كانون الثاني ١٨١٣) ، وسقطت الطائف وسيق عثمان المضايفي ، حمو الشريف غالب بن مساعد ، أمير مكة ، مكبلا بالأصفاد الى مصر ، وأرسل أهل الحجاز وعلماؤها ، الى محمد علي ، يبلغونه أنباء انتصار نجله .

وهنا نقرأ في هذه المجموعة كيف تلقى محمد علي ، أوامر مشددة من الباب العالي لقيادة العمليات الحربية بنفسه ، للقضاء على الدرعية ، فغادر مصر بصحبة عشرين ألف (٢٠,٠٠٠) جندي من الأتراك والمغاربة الى الحجاز في ١٥ شوال سنة ١٢٢٨ (١١ أكتوبر / تشرين الأول ١٨١٣) ، فاستقبله الشريف غالب ، أمير مكة المكرمة وصحبه الى مكة حيث قام محمد علي بنفيه الى سالونيك رغم تقديمه يد العون لقوات طوسون ، وتمكن سنة ١٢٣٠ (١٨١٤) ، عقب وفاة الامام سعود بن عبدالعزيز ، من احتلال تربة ، وأخضع قبائل زهران ، وأعدم أميرها بخروش ، واحتل ميناء القنفذة ، وأخذ طامي بن شعيب ، أمير عسير ، أسيرا ، ثم عاد الى مكة المكرمة ومنها الى مصر في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ (٢٣ يونيه / ـ حزيران ١٨١٥) . ونقرأ في هذه الوثائق أيضا أنباء مقاومة الامام عبدالله بن سعود لحملة طوسون بعد أن بلغته أخبارها من أهالي قرى القصيم في نجد ، فأسرع اليه واحتدم القتال بين الطرفين ، فلجأ طوسون الى عقد صلح مع الامام المذكور ، والذى رغب فيه حقنا للدماء ، وأرسل وفدا الى محمد علي لعرض رسائل الصلح ، وعاد طوسون الى مصر .

وقائع ابراهيم باشا وسقوط الدرعية :

هنا نقرأ كيف عبأ محمد علي حملة بحرية بقيادة (نجله) ابراهيم باشا في ١١ رمضان سنة ١٢٣١ (٥ أغسطس / آب ١٨١٦) لفتح الدرعية ، تلبية لطلب الشريف يحيى بن سرور أمير مكة ، لقيام الامام عبدالله بن سعود بتحريض القبائل العربية في أطراف المدينة المنورة . فوصلت الحملة اليها ، واتخذ ابراهيم باشا من الحناكية في ٧ محرم سنة ١٢٣٢ (٢٧ نوفمبر / تشرين الثاني ١٨١٦) معسكرا له . وسار الى الرس بعد نحو ستة أشهر قضاها في استمالة العربان ، فحاصر قلعتها في ٢٥ شعبان ١٢٣٢ (١٠ يولية / تموز ١٨١٧) نحو ثلاثة أشهر ثم فتحها ، وسقطت قريتا عنيزة وبريدة ، واستسلم أهل شقرا في ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٣٣ (٢٢ يناير / كانون

الثاني ١٨١٨) بعد معركة ضارية واستولى على قلعة ضرما حربا ، وأرسل آذان ألف وخمسمائة (١٥٠٠) قتيل سلفى الى مصر ، وقصد الدرعية في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٣٣ (١٩ مارس / آذار ١٨١٨) وفي حوزته أكثر من ستين ألف (٦٠,٠٠٠) قنبلة ، فاشتبكت عساكر الفرسان والمشاة مع قوات الامام عبدالله بن سعود ، وحاصرت العساكر قلعة الدرعية ، وفي ٥ ذي القعدة سنة ١٢٣٠ (٦ سبتمبر / أيلول ١٨١٨) هاجمت القلعة وفتحتها بعد مقتل فيصل وتركي أخوي الامام عبدالله ، وألف وأربعمائة (١٤٠٠) وهابي ، وأرسل عبدالله بن سعود الى مصر في شهر محرم سنة ١٢٣٤ (أكتوبر / تشرين الأول ١٨١٨) ، حيث أعدم في استانبول ، وقام ابراهيم باشا بهدم القلاع والقصور في الدرعية .

وفي هذه المجموعة من الوثائق أخبار رحلة كابتن سادلير الى ابراهيم باشا في المدينة المنورة ، تهنئه على انتصاراته ، وتطلب مساعدتها لمحاربة القواسم في سواحل عمان ، غير أن الباشا عاد الى مصر في ١٩ صفر سنة ١٢٣٥ / (٧ ديسمبر / كانون الأول ١٨١٩) .

أخبار الامام تركي بن عبدالله وابنه فيصل :

تحكى مجموعة هذه الوثائق أخبار استرجاع النفوذ السعودي بعودة تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود الى نجد في أوائل سنة ١٢٤٠ (أواخر ١٨٢٤) ، بعد تمكنه من قتل محمد بن مشاري بن معمر وأبيه ، لتسليم مشاري بن سعود الى القائد التركي خليل آغا ، ولفشل قوات محمد علي في القضاء على نفوذه الذي امتد الى شرقي شبه الجزيرة العربية . وجرت اتصالات بينه وبين كل من والي بغداد ، وزعيم الثورة العسيرية ، سعيد بن مسلط ، الذي شغل محمد علي بأمرها وبحروبه في جزر البحر المتوسط ، وشبه جزيرة الموره ، وتطلعه الى بلاد الشام ، فآثر اتباع أسلوب المهادنة نحوه .

وابان تسلم الامام فيصل بن تركي سدة الحكم في نجد سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ، تحكى لنا هذه الوثائق كيف عاود محمد علي التفكير في توسيع رقعة نفوذة لتشمل شبه الجزيرة العربية بأكملها ، عقب نجاحه في الاستيلاء على بلاد الشام ، واتخذ من وجوب تنصيب خالد بن سعود ، الذى تربى في مصر ، حاكما على نجد ، ذريعة لمد نفوذه الى ذلك الاقليم ،

وفشلت محاولات اقامة صلح بين فيصل وخالد ، ورغم وقوف الدولة العثمانية الى جانب فيصل بواسطة والي بغداد ، الا أنه اتبع اسلوب المهادنة ، وتمكن القائد خورشيد باشا ، بعد انزال فيصل الهزيمة بحملة اسماعيل بك ، من محاصرته في الدلم ، فاستسلم الامام فيصل حقنا للدماء ، وسافر مع بعض أفراد أسرته الى مصر في ٢ شوال سنة ١٢٥٤ (١٩ ديسمبر / كانون الاول ١٨٣٨) .

أخبار اليمن في وثائق القلعة :

وعلى صعيد آخر ، عاود محمد علي نشاطه في اليمن في الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، لفشله في احباط الثورة العسيرية ، وتمكن الانجليز من السيطرة على ميناء مخا «مفتاح اليمن» ، واثارة تركجه بيلمز ، زعيم ثورة الجند غير النظاميين ، لشيوخ اليمن ، فتمكنت قواته من الاستيلاء على بعض الأماكن في اليمن منذ سنة ١٢٥٠ (١٨٣٥) ، غير أن بريطانيا وقفت في وجه امتداد نفوذه الى اليمن ، واستطاعت في غرة ذي القعدة سنة ١٢٥٤ (١٦ يناير ١٨٣٩) من احتلال عدن ، وأرسل هنز ، المعتمد السياسي البريطاني الى امام صنعاء لتحويل تجارة البن اليمني من مخا الى هذا الميناء ، وبموجب معاهدة لندن (التي سيرد ذكرها) سحب محمد علي قواته من اليمن .

نشاط خورشيد باشا في منطقة الخليج :

امتد نشاط خورشيد باشا الى شرقي شبه الجزيرة العربية ، وشمال الخليج العربي ، واتخذ من الاحساء والقطيف سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) مركزا لمزاولة نشاطه بواسطة وكيله في البحرين والساحل العماني ومسقط ، وفي الكويت والعراق . وقد شملت مجموعة وثائق نشاط خورشيد باشا في الخليج معلومات هامة عن :

الاحساء والقطيف :

خشي أهالي الاحساء (بنو خالد) عودة النفوذ السعودي ، بعد رحيل ابراهيم باشا من نجد الى المدينة المنورة ، واخضاعهم لحكمه ، فعملوا عل مقاومته بمساندة السلطان العثماني لهم ، الذي أصدر أوامره الى محمد علي باشا باتخاذ الاجراءات الحربية السريعة للقضاء على عودة نفوذ آل سعود الى نجد ، فبعث الى ابراهيم باشا في المدينة المنورة طالبا منه اتخاذ «التداركات الكلية» ، غير أنه فشل في مهمته ، وتمكن الامام تركي بن عبدالله من توطيد نفوذه في نجد والاحساء . وعقب نجاح القائد

العام لنجد ، خورشد باشا ، في مهمة القضاء على حكم الامام فيصل بن تركي سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) ، بسط نفوذه على الاحساء والقطيف ، واتخذ من الاحساء مركزا لتحرك قواته نحو شرق الجزيرة العربية وشمال الخليج العربي ، بواسطة وكيله في المنطقة محمد رفعت ، الذى أدرك أهمية السيطرة عليها بعد قيامه بدراسة أحوالها وموانئها ، فسارعت بريطانيا الى الاستيلاء على جزيرة خارج سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) .

البحـــرين :

تعود أهمية البحرين الى الناحيتين الاستـــراتيجيـــة والاقتصـــاديـــة ، باعتبارها ميناء للحسا والقطيف ، ومركزا لشراء الغلال ، كما أوضح ذلك محمد رفعت في تقاريره الى خورشيد باشا ، فلجأ الى اجراء مفاوضات مع الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة ، أمير البحرين ، أسفرت عن عقد «معاهدة اتفاق» بين الجانبين سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) ، على أن تدفع البحرين زكاة قدرها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) ريال الى خورشيد باشا كســابق عهدهــا زمن آل سعود ، وأرسل هينل ، المقيم البريطاني في بوشهر أثناء وجوده في قطر ، عدة رسائل الى أمير البحرين حول مخالفة الاتفاق لارتباطاته مع الانجليز ، وحرر رسائل مماثلة الى خورشيد باشا حذره فيها من التدخل في أمور البحرين ، ولم تلق رسائله أذنا صاغية ، وجرت محادثات بين شيخ البحرين ومحمد رفعت في ٢٣ صفــر ١٢٥٥ (٨ مــايو / آيــار ١٨٣٩) في قلعــة شيــخ البحـــرين في خـــورحســـان آحد بلدان ساحل قطر ، أسفرت عن توثيق ذلك الاتفاق ، ودارت اتصالات بين كل من خورشيد باشا ، والمقيم البريطاني ، حول معارضة بريطانيا لامتــداد نفوذه الى البحـــرين أو التعرض للساحل العماني الذي أنذر شيــوخه ، ممــا أثار خــوف أهل البحرين .

البريمي والساحل المتصالح :

شهدت منطقة الساحل المتصالح في أعقاب سقوط الدرعية ، عملا حربيا قامت به بريطانيا ضد القواسم ، ونجح قائد حملتها الجنرال كير ، في احتلال رأس الخيمة سنة ١٢٣٥ (١٨١٩) وبعد تمكن خورشيد باشا من بسط نفــوذه عــلى الاحســاء والقطيف ، وعقد وكيله الاتفاق مع أمير البحرين ، الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة ، تطلع الى بسط نفوذه على منطقة البريمي وامارات الساحل العماني ، وأرسل سعد بن مطلق المطيري الى شيوخ الامارات حاملا

اليهم رسائل خورشيد باشا حول تنصيبه أميرا في البريمي من قبل خالد بن سعود ، بدلا من حمد بن يحيى ، والتقى عند رأس الخيمة بحمد ، وأخبره باخراجه من قبل قبيلة نعيم من قصر البريمي ، فاتجه سعد الى الشارقة سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) ، فاستقبله الشيخ سلطان بن صقر ، حاكم رأس الخيمة ، ووضع تحت امرته بيتا حصينا وقلعة ليقيم فيها ، وأرسل الى خورشيد طالبا منه تزويده بقوة من فداوية الفرسان والمشاة وحينما وصلت الشيخ سلطان بن صقر الامدادات ، وبضغط من المقيم البريطاني وجه الشيخ رسالة الى سعد ضمنها الاشارة الى وجوب مغادرته بناء على طلب هينل ، لاخلال ذلك بشروط معاهدة الصلح المبرمة بين مشايخ عمان وسركار (الحاكم العام) الانجليزي ، فانسحب سعد الى الاحساء سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) .

مسقط :

سادت العلاقة الودية بين كل من محمد علي باشا ، وسعيد بن سلطان امام مسقط ، الذي تعاون مع الانجليز في القضاء على تمرد قبيلة بني بوعلي في أرض ـ جعلان سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) ، وأكد الامام في رسائله الثلاث المرسلة للباشا والى مصر ، سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) محافظته على العلاقة القائمة بينهما ، وقد عمد المقيم البريطاني هينل ، الى تحرير رسائل تحذير الى خورشيد باشا من التدخل في أمور عمان ، أو أرسال سعد بن مطلق المطيري الى منطقة البريمي ، وطلب من شيخ رأس الخيمة ، الشيخ سلطان بن صقر ، اعادة سعد الى القطيف بحرا .

الكويت والبصرة :

قام محمد علي بمحاولة للسيطرة على منطقة شمال الخليج العربي ، الكويت والبصرة ، لأهميتها الاقتصادية ، واعتبارها مركز تموين لمنطقة نجد ، اضافة الى أهمية موقعها التجاري ، وعندما بدأت تسوء العلاقات بين محمد علي باشا وبين الدولة العثمانية ، فكر في غزو شمال الخليج العربي بل والعراق ، لابعاد النفوذ العثماني عن تلك المنطقة ، وأرسل عيونه منذ سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) لتتبع أخبار البصرة وبغداد ، اللتين أصبحتا تمثلان مركزا مضادا لتحركاته في شبه الجزيرة العربية ، فمنذ وصول قوات خورشيد باشا الى منطقة الاحساء سنة ١٢٥٤ / (١٨٣٨) ، أرسل الى الكويت محمد أفندي ، وكيلا مصريا ، لشراء الغلال اللازم لقوات نجد ،

ولتزويده بالأنباء ، وصار نقل الغلال الى ميناء القطيف ، وطلب خورشيد باشا اصدار الأوامر اليه لتنفيذ خطته التوسعية بعد التحاق بعض القوات التركية ، الفارة من البصرة الى الكويت ، بقوات خورشيد باشا في نجد ، بصحبة الملازم محمد أفندي ، بعد ما قدم الشيخ جابر بن آل صباح ، أمير الكويت ، يد العون اليها ، ورغبة أهل العراق في مساعدة قوات خورشيد فور وصولها اليهم . للخلاص مما يعانون من الظلم والاستبداد ، كما جاء في تقرير الشيخ حمود بن جسار ، أحد علماء نجد ، المقيم في بغداد ، فتصدت له الدول الكبرى وأرغمته طبقا لمعاهدة لندن في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) على سحب قواته من جميع مناطق شبة الجزيرة العربية ، فأمر محمد علي خورشيد باشا باغلاق باب مصروفات هذا المشروع ، وسحب قواته والعودة بها الى مصر بعد تسليم زمام الأمور الى أمير نجد ، خالد بن سعود .

